أصول الدعوة

المحاضرة الأولى

أستاذ المادة: د. ياسر عبد التواب

الدعوة إلى الله
سبيل الرسل وهداية الحيارى

مقدمة

-**الدعوة إلى الله واجب كل مسلم ومسلمة في كل زمان**.. وفي زماننا هذا أضحت الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه ودرء شبهات الأعداء أوجب علينا لما تتعرض له الأمة الإسلامية من هجمات شرسة من أعداء الإسلام والحاقدين عليه والحاسدين للحق الذي جاء به.

-**الدعوة إلى الله شرف عظيم لصاحبها** :قال تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين) فصلت (33).فليس ثم إنسان أفضل عملا من الدعاة الصالحين المصلحين العاملين للخير والحق .

-**الدعوة إلى الله ثوابها كبير وعظيم**، وحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم يقرر ذلك: (لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس) متفق عليه وفي رواية (خير لك من حمر النعم) [1]

[1] - البخاري :3498-مسلم 2406.

-**الدعوة إلى الله وإلى الطريق الصحيح من ألزم الأمور** وسط هذا الخليط من الرايات والتيارات والتجهيل والتشكيك والتغريب والانحراف.

-الدعوة إلى الله مرحلة مهمة من مراحل العمل الإسلامي الجاد وهى مرحلة التعريف التى تسبق التكوين والتربية

[1] - البخاري :3498–مسلم 2406.

- فهناك دعوة عامة في المحاضرات والدروس ووسائل الإعلام كالكتاب والصحيفة والمجلة والشريط، وهناك الدعوة الفردية أيضا وهى لا تقل أهمية عن الدعوة العامة أو الجماعية

وقد عرف كثير من أهل العلم المعاصرين الدعوة بتعاريف مختلفة نختار منها : الدعوة هي تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة) 2

[2]- التعريف لفضيلة الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني – المدخل إلى علم الدعوة ص 17 ط إدارة الشؤون الإسلامية القطرية

فهذا التعريف يحتوي إشارة إلى تبليغ الإسلام بمعنى إيصال المعنى واضحا وفوق ذلك العناية بالتعليم – بحسب حاجة المدعوين – بمعنى تدريسهم وتكرار المعاني عليهم وبيانها لهم كما يشمل سعي الدعاة إلى تطبيق ذلك في واقع الحياة ..وكل هذا يضم الدعوة الفردية التي توجه من الداعية لأشخاص بعينهم والدعوة الجماعية بنوعيها سواء من داعية متوجها بها لطائفة أو طوائف من الناس أو التي يتعاون فيها مجموعة من الدعاة ومن يساعدهم لإفادة المجتمع بشتى الصور .. ويا لها من مهام جليلة تتطلب التعاون والتآخي

فضل الدعوة إلى الله :

يكفي الدعوة فضلا أنها منهج الأنبياء ووظيفتهم الأساسية فبها يتم التذكير بالله تعالى وبها يعرف الناس كيف يعبدون ربهم وبها نصلح العقائد الفاسدة ونقومها وبها تطيب الأخلاق وتسمو النفوس وننقي المجتمعات من الآثام والظلم ونطهرها من الفواحش ونأخذ بيد الضعيف الحائر والبعيد الضال ونرشده إلى سبيل نجاته

قال تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (ابراهيم:5)

ومن رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن رفع قدرها فمنحها وظيفة الأنبياء أمانة في عنقها ففضلها بذلك على غيرها فلتسلك سبيل الهدى لتنعم بفضل ما وكلت به

[2] – التعريف لفضيلة الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني – المدخل إلى علم الدعوة ص 17 ط إدارة الشؤون الإسلامية القطرية

قال تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)(البقرة: من الآية143)

وقال سبحانه (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف:108)

فالدعوة أمانة وشرف حملته هذه الأمة وتلقته عن نبيها ويا له من فضل عظيم أن تفعل ذلك فترث ما ورثه رسول الله ﷺ من علم وبصيرة وتحسن في الناس وتمضي على سيرته ﷺونهجه الحكيم قال تعالى : ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل:125)

كم أفاد الدعاة غيرهم ..وكم استنقذوهم من ظلمات الحيرة والضياع ..استفاد تائه الفكر مبلبل العقل فوجد إجابات أسئلته عن حياته ومغزى وجوده وعن الكون والحكمة من خلقه

ووجد إجابات عن الرسل ودعوتهم وحقيقة كونهم ..بوضوح لا لبس فيه ولا أسرار يختص بها خاصة دون العامة ككهنوت غيرنا من الأديان

كم استفاد خاوي النفس عطشان الفؤاد قلق القلب من دعوة الدعاة ونصائحهم ومواعظهم فرق قلبه وهدأت نفسه وسكن ضميره وانطلق إلى آفاق الخير الرحيبة

وكم عاد المخطئ الضال إلى رحاب الخير وإلى جادة الصواب فأقلع المدمن وتاب العاصي وثاب الظالم القاسي

كم استفاد الفقراء وكم كفل أيتام وأرامل وكم أقيمت مشروعات وقامت معالم الحضارات وبذل الأغنياء وأخرجوا الزكوات ..وكم صبر المبتلون ..وكم تعفف المعوزون ..كل ذلك بفضل الدعاة ودعوتهم إلى ربهم

وكم أمنت المجتمعات وساد فيها الخير وأخذت على يد السفيه وحاربت الظلم والمعتدين

كل ذلك بفضل الله أولا ثم بفضل تلك الثلة المباركة ممن استنقذهم الله فساروا على نهجه وطلبوا رضاه سبحانه بالدعوة إليه وتعبيد الناس له فنفعوا أنفسهم ونفعوا الناس من حولهم وأقاموا الحجة على من خالف وفتحوا السبيل لكل راغب وأوضحوا الطريق لكل طالب وبينوا الأمور لكل سائل قال تعالى : (وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)(البقرة: من الآية221)فهنيئا لمن سار على دربهم فهم والله من المجاهدين في سبيل الله تعالى حتى وإن لم يقاتلوا

قال تعالى : (انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (التوبة:41)

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى منها :

1-روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة؛

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا. ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا" [3] مسلم 2674

2-وعن جرير بن عبد الله قال جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم الصوف فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة فحث الناس على الصدقة فأبطؤا عنه حتى رؤى ذلك في وجهه قال ثم إن رجلا من الأنصار جاء بصرة من نوي ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء) رواه مسلم حديث 1017

وفي رواية أخرى في مسلم (فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) (النساء:1)
والآية التي في الحشر (اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله) تصدق رجل من دينار من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت قال ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده دون أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده دون أن ينقص من أوزارهم شيء) رواه مسلم حديث 1017

3-وروى البخاري وغيره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لما بعثه إلى خيبر (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) [4]

[3] – مسلم 2674

[4] – البخاري : 2783

4- عن الشعبي قال قدم علينا النعمان بن بشير فخطبنا فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نَضَّر الله امرءاً سمع منا حديثـاً فحفظه حتى يبلغه إلى من هو أحفظ منه ويبلغه من هو أحفظ منه إلى من هو أفقه منه فربَّ حامل فقه ليس بفقيه)[5]

الأمر بالدعوة

لقد ورد الأمر بالدعوة لكل المسلمين من أتباع النبي الكريم ﷺ الذين يعبأون بأمره ويهمهم شأنه وينتهجون نهجه ..فكل من له حظ من الدعوة فقد استكمل هذا الاتباع وكل من حرم نفسه من تلك الدعوة فهو المحروم على الحقيقة ..ولنتأمل أن صيغ الأمر بالدعوة جاءت بفعل الأمر وهو يفيد – بكل وضوح – وجوب هذا العمل في حق كل قادر عليه..وبما أننا ندرك أن الأمر لرسول الله ﷺ هو أمر للأمة فإن كل ما ورد في القرآن من حث الرسول ﷺ على الدعوة والتبليغ فإن الأمة داخلة فيه أيضا..وهذا ما سيبين عند استعراضنا لتلك الأدلة

لقد بين القرآن أن الدعوة تجد أعداءً ممن يجهل أمرها وتحفها المتاعب فجاء الأمر بها مقرونا بالتنبيه على ذلك وبالأمر بالصبر والتحمل قال تعالى (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدىً مُسْتَقِيمٍ) (الحج:67)

فقوله تعالى (فلا ينازعنك ...) وقوله (.وادع) هو بيان لحال بعض أهل الجدل مع الدعوة ويأتي الأمر بالدعوة بعد التصبير بتوقع ما سيجادلون به ليكون ذلك من الأدلة على وجوب الصبر على الداعية حتى وإن وجد عنتا وهو ما صاغته آيات أخرى ببيان وجوب التحمل والجدال بالحسنى فقال سبحانه : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل:125)

وقال عز وجل : (وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (القصص:87)
وفي تلك الآية تحذير من أن المستجيب لصد المشركين عن سبيل الله والذي لا يواجه ذلك الصد بالدعوة قد يقع في الشرك والخطاب له ﷺ والمراد غيره كما قال أهل العلم[6]..فهذه أدلة على وجوب الدعوة مع بيانها لبعض الآداب والمصاعب
ومن أدلة الوجوب أيضا ما بينه رسول الله ﷺ أن على كل مسلم واجب البلاغ عنه ولو بأن يبلغ آية .. فعن عبد الله بن

[5] – المستخرج على صحيح مسلم 40/1

[6] – انظر تفسير القرطبي 388/8

عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) [7]

وهذا دليل على أهمية الدعوة من جهة وعلى أن الداعي إلى الله يجب ألا يتخرص أو يتألى على رسول الله بأن يبلغ شيئا يجهله

وهذا تحذير أيضا للدعاة ألا يأخذهم الحماس أو الحمية للدعوة فيحلون الحرام أو يحرمون الحلال أو يتكلموا بغير علم فيكون عملهم وبالا عليهم

وجاء الأمر بالبلاغ عن النبي ﷺ ليعم الخير البشرية وتأمل معي ذلك الحديث عن أبي بكرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم النحر ..(فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا فليبلغ الشاهد الغائب) رواه البخاري ومسلم [8]

ففيه الأمر بالبلاغ للحاضر إلى الغائب وذلك أمر لعموم الأمة إلى قيام للساعة لتبلغ عن رسول الله ﷺ حيث لا يعدم من الناس من يكون غائبا أو ربما غافلا فيكون كالغائب وكم من مغيب مثل الكفار يحتاجون إلى بيان وتذكير فمن بظنك سيذكرهم ويبين لهم ؟ أليس نحن

وهذا الجهد يحتاج إلى حكمة وصبر وجهد وجهاد وإدراك لمواطن الضعف البشري وللفروق الفردية بين الناس وهذا نلمسه من الحديث عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة ﷺأخبره أن أعرابيا بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه وأهريقوا على بوله ذنوبا من ماء أو سجلا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين[9]) فبين بذلك أيضا أهمية الحكمة والتيسير والبعد عن التشديد والتنفير

[7] – رواه البخاري 3274

[8] – البخاري 1650– مسلم 1679

[9] – رواه البخاري 5777